غرائب الخلق

نبذة في طعام الطيور

قف بنا نستطلع امر هذه الملا لنرى على مَ يستشرفون[1] السموات العلى . أأنزل الله عليهم كسفًا من السماء ام رفع اليه بعض الاولياء الاصفياء كلاَّ ليس في الامر الاَّ ان جارحة من الجوارح السوانح والبوارح[2] انقضَّت على الحية الفرناء فاحتملتها وحلقت في السماء والناس ينظرون اليها حيارى ويتبارون في الآراء كبارًا وصغارا بين قائل ان الطير لا يقتله سم الافعوان وقائل انه يو افتك منه بالانسان لكنه لا ينوز منه بالارب لما يعترضه من الريش والزغب . ولما علمت الضوضاء وكثر الاخذ والعطاء هروات الى القمطر[3] لاستفتي كتب العلم في هذا الامر فعثرتُ على حقائق كثيرة تحير الفكر ومسائل جليلة حرية بالاعتبار والنظر فجمعتها جمع المحكم لتتذكر ما علمتَ وتحيط علمًا بما لم تعلم

الطير اخف انواع الحيوان سيرًا واكثرها حركةً واسرعها تنفسًا واحرُّها دمًا فالتحليل في بدنها اسرع منه في بدن غيرها من انواع الحيوان . ولذلك تحتاج الى الطعام الكثير فلا تُرى الاَّ ساعية في طلبه ولا تتوقف الاَّ اذا دعاها داعي الحب والزهو الى التغريد وشقشقة اللسان او داعي الصحة والراحة الى النوم والاستكنان . وكأنها رأت ميدان الهواء ضيقًا عليها فخاضت البحار في طلب السمك والمحار وجاست الفلوات في طلب الحشرات والزحافات فلا تُرى الاَّ معلقةً في عنان السماء او خائضةً في لجج الماء او ضاربةً في سهول الغبراء ولا تعفُّ عن شيء ما يمكنها صيدهُ من الطيور وذوات الثدي والزحافات والحشرات والاسماك والاصداف والاثمار والحبوب والخضر والجذور . وكأنها رأت ان النهار لا يكفي لسعي كل افرادها فانقسمت فرقتين فرقة تسعى في النهار وفرقة تسعى في الليل . وبناء كل فرقة من هاتين الفرقتين موافق للوقت الذي تسعى فيه فالطيور النهارية متبرقشة بالالوان صغيرة العيون حديدة البصر والليلية غبراء اللون واسعة الاحداق ناعمة الريش تبصر في الظلام وتبيِّت فراشها خلسةً فلا يُشعرها بحركة لنعومة ريشها . وقد تكون النهاريَّة والليليَّة من عائلة واحدة اصلاً ولكن ضروب المعيشة غيَّرت شكلها وطبائعها

(١) اي يرفعون بصرهم اليها ويسطون كفوفهم فوق حواجبهم كالمستظل من الشمس

(٢) الجوارح الطيور التي تصيد والسوانح التي تأتي من جانب اليمين والبوارح التي تأتي من جانب اليسار والعرب تتيمن بالسوانح وتتشاءم بالبوارح

(٣) ما تصان به الكتب

والطيور لا تجري على سنّة واحدة في طعامها فبعضها يقتصر على أكل اللحوم وبعضها على أكل الحبوب والاثمار وبعضها يجمع بين النوعين وذلك خلق ثابت فيها ولكنه يتغير بتغير الاحوال. فالنسر والعقاب يقتصران على أكل اللحوم. ولكن اذا فقد اللحم ولم يجدا اليه سبيلاً وعضهما الجوع اضطرّا الى أكل الحبوب والاثمار فأكلاها. وأكثر طعام الطيور من الاسماك والحشرات اما السمك فالارجح ان طيور البحر تأكل منهُ أكثر مما يأكل منهُ الانسان واما الحشرات ونحوها من الهوام والخشاش فالظاهر انها وُجدت لتكون للطيور طعاماً. والطيور تفتك بها فتكاً ذريعاً فالعصفور الواحد قد يأكل في النهار مئة دودة او اكثر والسمرمر يدخل الحقل وقد كساهُ الجراد فيخرج وقد استأصله منهُ. وكثيراً ما عددنا في حوصلة الطائر الواحد اكثر من خمسين حشرة بين نمل ونحل وذبان ومن ثمّ كانت الطيور من لوازم الزراعة لانها تنفي النباتات من الحشرات المختلفة المضرة بها حتى ان السوس الذي يثقب سوق الاشجار الكبيرة ويفور فيها لا ينجو من فتك الطيور لانّ لطائر منها منقاراً طويلاً فيخترق الشجرة مهما كان صلباً ويطلب السوسة حتى يجدها ويأكلها

وكل جزء من اجزاء النبات عرضة للطيور فانها تأكل الحبوب والاثمار على اشكالها ومنها نوع يكسر الجوزة الصلبة ويأكل لبها والظاهر انهُ كان يكسر الجوز اولاً ليأكل الدود الذي فيهِ ثم استطاب اللب فصار يأكله ويكسر الجوز لاجلهِ. ومنها ما يأكل الجذور والبصل فيحفرها من تحت الارض ويلتهمها ولو كانت سامّة وبعض انواع الطير يأكل اوراق النبات واغصانهُ الطرية وعليهِ فلا يبقى شيءٌ من النبات تعافهُ الطير الاّ الخشب اليابس وهذا لا يسلم من نقّار الخشب كما تقدّم

وكثيراً ما يقتصر النوع الواحد من الطير على نوع او اكثر من الطعام ولا يأكل غيرهُ الاّ عند الضرورة. فالسُّمانى مثلاً يأكل الاثمار الصغيرة ويرمي نواها والحسّون يلتقط النوى ويكسرهُ ويأكل لبّهُ. ويقول العرب ان العقاب تأكل الطيور الصغيرة التي تصيدها وترمي قلوبها وفي ذلك انشد امرؤ القيس

كأنّ قلوبَ الطير رَطْبًا ويابسًا لدى وكرها العنّابُ والحَشَفُ البالي

ويقولون ايضاً انها تأكل الحيات الاّ رؤوسها

وقد نفع من أكل الطيور للاثمار ورميها لبزرها ان انتشرت النباتات على وجه الارض ونبتت حيث كان يتعذّر نموّها. فالناظر في الآثار القديمة في بلاد الشام يرى في جدران ابراجها الشاهقة انواعاً كثيرة من النبات كالتين والزيتون والكرم مما يستحيل بلوغ بزوره الى هناك لولا

ان الطيور كانت تأكل الاثمار وترعى بزورها في نثر الابراج او تزدرد البزور مع الاثمار ولكنها لا تهضمها الاَّ هضمًا قليلاً يكفي لاسراع نبتها فتنبت حيثما يقع ذرق الطير. ويقال انهُ لما ذهب الاسبانيون الى بلاد شيلي باميركا لم يجدوا فيها تفاحًا فنقلوا اشجار التفاح اليها وزرعوها في البساتين والآن انتشر شجر التفاح البري في كل البلاد. وسبب ذلك ان الطيور كانت تسطو على التفاح فتاكلهُ وتلقي بزورهُ في عرض البر

وبعض انواع الطير يصحب الغنم والافيال والخيل والجمال في حلها وارتحالها ومعيشتهُ من القراد الذي على ابدانها فانهُ يقع عليها ويقليها تقلية[٤]. والنسور والعقبان تتبع الجنود المحاربة من مكان الى آخر فتأكل لحوم القتلى

هذا واذا تغيرت الاحوال على الطائر اضطرَّ ان يغير معيشتهُ كما تقدَّم فالاوز والدجاج والحمام كلها من اكلة الحبوب لا من اكلة اللحوم ولكن قد تتعوَّد على المآكل الحيوانية وتتعلَّق عليها فلا تعود تأكل شيئًا سواها. والعصفور الدوري ليس من الكواسر وان كان يصيد الحوام والحشرات ولكنهُ صار كاسرًا في بعض البلدان وصار يصيد صغار الطيور ويأكلها. وفي زيلندا الجديدة طائر من نوع الببغاء كان مقتصرًا على اكل الاطعمة النباتية ثم لما أدخلت الغنم الى تلك الجزيرة حام على المذابح وحسا الدم منها فاستطابهُ وصار يتبع الغنم ويحاول ان يجد فيها جرحًا فيمتص الدمَ منهُ ولما رأى ان الجروح فيها نادرة صار يجرحها بمقاره ويمتص دمها حتى يصح ان يقال انهُ صار يفترس الغنم كالذئاب الخاطفة

وآكلات اللحم تغيِّر طبائعها وتأكل الاثمار عند الضرورة. ذكر بعضهم انهُ كان في جزيرة كورفو فرأى فلاَّحًا رمى عصفورًا صغيرًا من العصافير المفردة وقتلهُ فاشتاط منهُ وطالبهُ بقتلهِ فقال الفلاَّح ان هذا العصفور قد اكل تينًا فاخذتهُ بجريرتهِ فضحك منهُ وقال لهُ يا جاهل اعلم ان هذا العصفور لا يأكل تينًا ولا يأكل الاَّ الحشرات التي تضرُّ بالتين ثم اخرج سكينًا وبقر العصفور ليثبت لهُ صدق مقالهِ فاذا حوصلة العصفور مملوءة بالتين لا غير فضحك الفلاَّح عليهِ وكأنَّ لسان حالهِ يقول

قل للذي يدَّعي بالعلم معرفةً ... عرفتَ شيئًا وغابت عنكَ اشياء

ويقال ان الانسان يمتاز على غيرهِ من انواع الحيوان بانهُ يهيِّئ طعامهُ حتى يسهل عليهِ اكلهُ وهضمهُ ولكن بعض انواع الطير تشاركهُ في ذلك فان منها ما يكسر الجوز ويأكل لبها كما تقدم

(٤) ومن ثمَّ جاء المثل القائل «كأنَّ على رؤوسهم الطير» اي انهم ساكنون هيبةً والاصل ان الغراب يقع على راس البعير فيلتقط منهُ القراد فلا يتحرَّك البعير لئلاَّ ينفر منهُ الغراب

ومنها ما يتف الطيور الصغيرة التي يفترسها. ومنها ما يغسل اللحم بالماء قبل اكله ومنها ما اذا تعذّر عليهِ فتح الاصداف وأكل اللحم منها ازدردها كما هي وتركها في حوصلتهِ حتى تنفتح فيخرجها من فمهِ ويفتحها ويأكل لحمها. ومنها ما يحمل الاصداف والسلاحف والعظام ويحلق بها في الجو ويرميها على الصخور حتى تتكسر ويسهل عليهِ اكل لحمها او مخها. ويقال ان طاليس الحكيم رماهُ نسرٌ بسلحفاة من السماء فقتلهُ فمن المحتمل ان النسر رأى رأس طاليس الاصلع فظنهُ حجرًا صلبًا فرمى السلحفاة عليهِ

وبعض انواع الطير يخزن طعامهُ من فصل الى آخر او من مدة الى أُخرى فمنهُ ما يجمع البندق ويخزنهُ في مخاريب الاشجار ومنهُ طائر في بلاد المكسيك يلتقط البلوط ويأتي بهِ الى قمة جبل فيهِ نبات لسوقهِ انابيب كالقصب فيثقب السوق ويخزن البلوط فيها وحينما يقل طعامهُ يأتي هذه المخازن ويتنزع البلوط منها ولكنهُ لا يأكلهُ الاَّ "بسفرة وملاعق" فان هناك اشجارًا شائكة يحفر كل طائر حفرة صغيرة في غصن من اغصانها تسع بلوطةً واحدةً ويضع البلوطة فيها كما توضع البيضة المسلوقة في فنجانها ثم يكسر قشرها بمنقارهِ ويأكل لبها. وهو من اكلة الحشرات لا من اكلة الاثمار ولكن الضرورات تبيح المحظورات. وبعض اصناف البوم يشعر بدنو الانواء قبل وقتها فيستعدُّ لها بخزن الفيران حتى اذا جاءت ولم يستطع الصيد وجد لهُ طعامًا كافيًا. ومن الطيور ما اذا كثرت عليهِ الخيرات لم يبذر فيها بل اقتصد في نفقاتهِ ونشر ما زاد عن طعامهِ من العصافير والضفادع والديدان على رؤوس الاشواك لكي تتدد في الشمس والهواء وتسلم من الفساد. وفي افريقية طائر يربط رقاب فراشهِ بالالياف المتينة ويعلقها بالاشجار الى حين الحاجة

هذا ومعلوم ان الطيور تقطع من بلاد الى أُخرى فبعضها يشتي في السودان ويصيف في شمالي اوربا وظاهر الامر انهُ مترفّه في معيشتهِ او انهُ يخاف من برد اوربا وحر السودان فيبادل بينهما. والواقع انهُ يقطع هذه المسافات الطوال ساعيًا في طلب رزقهِ ولو أُجري عليهِ الرزق الكافي في اوربا في كل فصول السنة ما تركها وهاجر الى افريقية لان الطيور التي تقنع بالقليل من الطعام او تاكل ما تجد منهُ كان تعيش في البلاد الواحدة صيفًا وشتاء ولا تقطع منها الى غيرها

ولا يخفى ان للطيور مواطن تقيم فيها دائمًا او تتردد عليها سنة بعد أُخرى اذا كانت قواطع ولكن حب الوطن لا يمنعها من تركهِ وابدالهِ بغيرهِ اذا اجدب. ذكر العالم نومن انهُ كان عندهُ حقل تركهُ بورًا في احدى السنين فكثر فيهِ الشوك والحسك فتردد الحسون عليهِ وصار الشوك يزيد فيهِ سنة بعد أُخرى والحسون يزيد ايضًا وفي الآخر تغلّب الحسون على الشوك فاستأصلهُ

كلة فلم يعد يتردد عليه . وبعض الطيور تتبع طعامها كيفما اتجه كطائر الحمرمر الذي يتتفي اثر الجراد لان معيشته منه

فيظهر مما تقدم ان غرض الطيور الاوّل من سعيها هو تحصيل طعامها وانها اشد المخلوقات نهمًا واعظمها شراهةً

تطعيم الجدري

لجناب الدكتور بشاره افندي مسى

لما رأيت الكثيرين يشتكون من ان التطعيم (الدق) قد فسد ولم يعد يقي المتطعمين من الجدري بل صار يضرّ بهم بنقل الامراض المزاجية اليهم ولما كان ذلك ناتجًا من عدم الاعتناء بالتطعيم ومن تسليمه في بلادنا الى اناس يجهلون كيفيته ويجهلون مبادئ علم الصحة فشوهوا اذرع كثيرين واملوا البعض بالامراض المزاجية كالمرض الزهري والختزيري بعثت اليكم بهذه الرسالة المختصرة عساكم ان تتكرموا باثباتها في صفحات مقتطفكم الاغر فتزيدوني لكم منةً وشكرًا

يراد بالتطعيم (الدق) ادخال صديد جدري البقر في بدن الانسان لكي يصاب بالجدري البقري الخفيف ويوقى بذلك من الاصابة بالجدري البشري الثقيل او يوقى من غوائله اذا أُصيب به . وداء الجدري البقري كان معروفًا عند الهنود والفرس من قديم الزمان . ويظهر ان البعض من اهالي انكلترا والمانيا انتبهوا الى خاصته الواقية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر . فقد قيل ان معلمًا من هولستن اسمهُ بلت طعّم به اثنين من تلامذته سنة ١٧٧١ . وقيل ان رجلاً آخر اسمهُ جنبي طعم امرأته وولديه وذلك سنة ١٧٧٤ . ولكن اول من اشهر فائدة التطعيم بالجدري البقري هو الدكتور وليم جنر وذلك سنة ١٧٩٦ . وكان من رأيه ان للجدري البشري وللجدري البقري اصلاً واحدًا . وظن ان جدري البقر نشأ من جدري الخيل المعروف بالاكذيما البشرية . الآن هذا الرأي اي وحدة اصل هذه الامراض الثلاثة لم يثبت حتى الآن لانهُ لو طعمت الخيل والبقر من جدري البشر لاصيبت بمرض تناطي مغاير لجدري البقر والخيل المعهودين ثم لو طعم الانسان من بثور هذا المرض لاصيب بالجدري البشري المعهود

وقد ثبت للدكتور جنر ان الذين يصابون بجدري البقر يقلّ تعرضهم للتأثر بالجدري البشري . ولما شاع التطعيم بالجدري البقري وممارسة الاطباء قل عدد الذين كان الجدري البشري يفتك بهم . فكان يموت بالجدري في تريست ٣٦ من ١٤ من كل مليون قبل استعمال